توقيعات الخلفاء الامويين
دراسة في المضامين والابعاد

أ.م.د.هاشم صائب محمد

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

يتناول هذا البحث موضوع توقيعات الخلفاء الامويين على الكتب الرسمية والتماسات الرعية . وتكمن اهمية التوقيعات في كونها تحمل في ثناياها اغراضا عديدة تتمحور حول اصلاح حول المجتمع وتوطيد الامن والنظام ومحاربة الفساد، ورد المظالم والنظر في شكاوى المواطنين، والدعوة الى العدل والانصاف وهو ما ركزت عليه هذه الدراسة لتوضيح الابعاد والمضامين السياسية و الادارية و الاقتصادية والاجتماعية في توقيعات الخلفاء الامويين، وتبين اراءهم و مواقفهم من القضايا التي تعرض عليهم والقرارات التي اتخذوها تجاهها، فضلا عن ان تلك التوقيعات تعد واحدة من مصادر التاريخ المهمة، والتي يمكن من خلالها الوقوف على طبيعة ادارة الدولة في العصر الاموي (٤١-١٣٢ هجري /٦٦١-٧٥٠ ميلادي) وسياستها.

The Notes of the Umayyad Caliphs

Study in the contents and Implications

This research deals with the notes of the Umayyad caliphs on official letters and people petitions. The importance of signatures lies in carrying many purposes centered on the reform of the society, the consolidation of security and order, fight against corruption, consider the complaints of citizens, and to call for justice and fairness which this study focused upon to clarify implications, administrative, economic, social and political signatures in the Umayyad caliphs, showing their opinions and attitudes of the issues presented to them and the decisions

they took. In addition , those notes are as one of the sources of history by which one can stand on the nature of the state administration in the Umayyad period (41–132 AH / 661. 750 AD) and its policy.

توقيعات الخلفاء الأمويين

(دراسة في المضامين والابعاد)

المقـدمة :

من المعروف ان تاريخ كل امة من الامم يمثل سجل انجازاتها الحضارية التي قامت بها في الميادين المختلفة ،بل ان مستقبل الكثير من الامم ما هو الا انعكاس لبعض اشعاعات امجادها التي ظلت تتواصل عبر الزمن ، وهكذا هو حال التاريخ الاسلامي الذي ارتبط منذ البداية بظهور الاسلام وقيام الخلافة الاسلامية بعد وفاة الرسول محمد (ص) الذي ترك للامة شريعة سمحاء تمثل نظام حياة متكامل الجوانب ولاسيما السياسية والادارية والاجتماعية ، لذا يعد الاسلام نظاما حضاريا الوانه متعددة واغراضه مختلفة ، ويهتم بكل ما ينظم المجتمع ويطور الحياة .

فبعد قيام دولة الاسلام وتكامل بناء مؤسساتها ، راحت تهتم بكل ما يؤدي الى تطويرها ويساعد في ادارتها ، ولما كانت الكتابة تمثل عنصراً مهماً واساسياً في عملية تنظيم شؤون الدولة وادارة مؤسساتها ، ودورها الفاعل في بناء الحضارة وتطورها ورقيها ، لذا حظيت الكتابة بمكانة مرموقة من الرسول محمد (ص) والخلفاء الذين جاؤوا من بعده ، فضلاً عن الاهتمام بها من قبل الامراء والوزراء والقادة والكتاب حتى تطورت نظمها وفنونها وادابها واساليبها ، ومنها نظام التوقيعات[١] الذي كان الهدف من ابتداعه مواكبة التطور الحضاري الذي شهدته الدولة العربية الاسلامية على جميع الاصعدة . وقد زودتنا مصادرنا التاريخية والادبية بالكثير من تلك التوقيعات ، منها توقيعات الخلفاء والامراء والوزراء والولاة على الكتب الرسمية او التماسات الرعية ، وتكمن اهمية التوقيعات في كونها تحمل

في ثناياها اغراضاً عديدة تتمحور حول اصلاح المجتمع وتوطيد الامن والنظام ومحاربة الفساد ، ورد المظالم والنظر في شكاوى المواطنين ، والدعوة الى العدل والانصاف ، وهو ما ركزت عليه هذه الدراسة لتوضح الابعاد والمضامين السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية في توقيعات الخلفاء الامويين ، وتبين اراهم ومواقفهم من القضايا التي تعرض عليهم ، والقرارات التي اتخذوها تجاهها ، فضلاً عن ان تلك التوقيعات تعد واحدة من مصادر التاريخ المهمة ، والتي يمكن من خلالها الوقوف على طبيعة ادارة الدولة في العصر الاموي (٤١–١٣٢ هـ / ٦٦١–٧٥٠ م) وسياستها .

البعد السياسي :

بما ان حكم البلاد وسياسة الرعية ومتابعة شؤونها من اهم واجبات الخليفة ، لذا كان البعد السياسي واضحاً في دلالات ومضامين توقيعات الخلفاء الامويين ، ومن امثلة ذلك ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان[٢](٤١–٦٠ هـ / ٦٦١–٦٨٠ م) عندما وصله كتاب والي العراق زياد بن ابي سفيان الذي اخبره فيه ان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨ هـ) كان يطعن في خلافته ويغريه فيه ، وقع فيه معاوية ، قائلاً ((ان ابا سفيان وابا الفضل[٣]كانا في الجاهلية في مسلاخ [٤]واحد وذلك حلف لايحله سوء ادبك))[٥] .

ويبدو ان الخليفة في توقيعه هذا اراد ان يبين للناس انه لم يكن مهتماً كثيراً بالاراء التي تشكك وتطعن في خلافته ، مادامت هذه الاراء مجرد كلام لم يترجم الى افعال ، كما انه اراد ان يوضح لزياد ان العلاقة التي تربط رجالات قريش قوية وهي اكبر من ان تفسدها اقوال زياد وتصرفاته ، وان في قريش مقامات عالية لا يجوز المساس بها ، وان زياد وغيره من الولاة اصغر من ان يتعاملوا معها .

وفي مثل هذا السياق كذلك كتب والي الحجاز الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٣–٧٥ هـ / ٦٩٢–٦٩٤ م) الى الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥– ٨٦ هـ / ٦٨٤–٧٠٥ م) يشكو اليه عدداً من بني هاشم ويغريه فيهم ، وقع عبد الملك

على كتابه توقيعاً قال فيه : ((جنبني دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الطلب[٦]))[٧] .

وهنا يبدو ان الخليفة عبد الملك اراد ان يبين رغبته في الظاهر الابتعاد عن اسلوب القوة والعنف في التعامل مع المعارضين ، ويظهر من خلالها حسن تدبير وواقعية تجاه المكانة الدينية والاجتماعية التي يتمتع بها بنو هاشم ، وعليه فإن معاقبتهم لا تصب في مصلحة الدولة واستقرارها ، لأن التطاول على بني عبد المطلب سيحرك الناس باتجاه نصرتهم او في في اقل تقدير كره بني امية[٨] .

ولما وصل الى الخليفة عبد الملك بن مروان كتاب من والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥–٩٥ هـ /٦٩٤–٧١٣ م) ، يوضح له فيه موقف اهل العراق من خلافته ومعارضتهم للامويين ، والصعوبات التي يواجهها في ادارته ، ويستأذنه في قتل اشرافه ، وقع الخليفة عبد الملك على الكتاب توقيعاً جاء فيه : ((ان من يمن السائس ان يأتلف به المختلفون ومن شؤمه ان يختلف به المؤتلفون))[٩].

فالخليفة عبد الملك يوجه هنا نقداً لاذعاً لواليه الحجاج ويصفه بقصر باعه السياسي وتحجر قابليته في هذا الميدان . والدرس البليغ الذي يستشف من هذا التوقيع هو ان من يلي امر الناس ويراهن على قوته وسطوته في سياستهم لا نصيب له في النجاح ، وان مقياس النجاح الحقيقي هو عندما يجمع الوالي الناس بسياسته وحنكته رغم عوامل الفرقة التي تدب في اوساطهم . وهو يدل على رفضه لطلب الحجاج بقتل اشراف اهل العراق ، لأن القتل يفرق ولا يجمع .

وكذلك عندما خرج عبد الرحمن بن الاشعث[١٠]على طاعة الخليفة عبد الملك والحجاج ، في سجستان[١١]سنة (٨١ هـ / ٧٠٠ م) ، كتب الحجاج بن يوسف والي العراق انذاك الى الخليفة عبد الملك يخبره بأمر ابن الاشعث وقوته وتنامي نفوذه واشتداد امره ، وقع الخليفة على كتابه معلقاً : ((بضعفك قوي ، وبخرقك طلع))[١٢] .وهو ما يبين ان الخليفة بهذا الايجاز الرائع . كان يرى ان من اسباب

خروج ابن الاشعث وازدياد نفوذه ضعف تدبير الحجاج وسوء تقديره لقوة ابن الاشعث ، واهداف حركته ةالطريقة التي تعامل معها ، لذا وافق على عزل الحجاج – رغم مكانته الكبيرة لديه – عن المشرق اذا كان ذلك يؤدي الى انهاء تمرد ابن الاشعث ويحقن دماء المسلمين[١٣] .

وعندما كتب القائد قتيبة بن مسلم الباهلي[١٤]الى الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦–٩٩ هـ / ٧١٤–٧١٧ م) يهدده بالخلع والعصيان ، وقع الخليفة سليمان في ذلك الكتاب :

((زعم الفرزدق[١٥]ان سيقتل مربعاً ابشر بطول سلامة يامربع))[١٦].

والظاهر ان الخليفة سليمان اراد ان يقلل من اهمية ما كتبه قتيبة ، بالاستخفاف به ، ووصفه بالجبن رغم ان شجاعة قتيبة لايختلف فيها اثنان بل اراد الخليفة ان يبين ان تحدي قتيبة للخليفة كان في غير محله لتباين المستوى والامكانيات ، الذي كانت نهايته ان قتل على يد القبائل العربية في المشرق سنة (٩٦ هـ / ٧١٤ م)[١٧].

وفي اطار مواقف الخلفاء الامويين من الحركات السياسية المعارضة ، انه عندما كتب والي العراق خالد بن عبد الله القسري[١٨] الى الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥–١٢٠ هـ / ٧٣٢–٧٤٢ م) بخصوص الخوارج وتطورات حركتهم ، وقع الخليفة هشام على الكتاب : ((ضع سيفك في الكلاب ، وتقرب الى الله في قتل الكفار))[١٩] .

ان هذا التوقيع دعوة للشدة في امر الخوارج والتي يبدو ان خالداً القسري قد نفذ فحواها ووقف بحزم ضد الحركات الخارجية التي شهدها العراق في عهده والتي قام معظمها في اواخر ذلك العهد[٢٠] .

وعندما وصل الى الخليفة مروان بن محمد (١٢٧–١٣٢ هـ / ٧٤٤–٧٤٩ م) كتاب خبر غرق قحطبة بن شبيب[٢١]قائد جيش العباسيين في نهر الفرات سنة (١٣٢ هـ /٧٤٩ م) ، وانهزام والي العراق يزيد بن عمر بن هبيرة[٢٢]امام الجيش

الذي كان يقوده قحطبة ، وقع على ذلك الكتاب بالتعليق الاتي : ((هذا والله الادبار ، والا فمن رأى ميتاً هزم حياً))[٢٣]وهو مايبين حالة الارباك التي يعيشها الجيش الاموي وحالة اليأس التي يمر بها الخليفة مروان بن محمد

وبهذا فإن توقيعات الخلفاء الامويين وضحت طبيعة سياسة الخلفاء الامويين ، وذلك من خلال الامور السياسية التي تعرض عليهم والتي يتصرفون فيها وفق المنهج السياسي لكل منهم والذي غالبا ما يوحد الامة ويقمع اعدائها .

البعد الإداري :

كان الخلفاء الامويون هم المسؤولين كذلك عن ادارة الدولة ، لذا فانهم اهتموا بتنظيم شؤونها ، والعمل على ادارتها بطريقة تحفظ حقوق الفرد والدولة على حد سواء ، لذا كانت توقيعاتهم تسير بهذا الاتجاه بالدعوة الى الاهتمام بادارة الدولة واقاليمها ، فالخليفة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤ هـ / ٦٧٨-٦٨٣ م) وقع في كتاب لوالي خراسان عبد الرحمن بن زياد : ((القرابة واشجة[٢٤]، والافعال متباينة ، فخذ لرحمك من فعلك))[٢٥] .

والظاهر ان الخليفة يزيد لم يكن راضياً عن اداء عبد الرحمن خلال ادارته لخراسان في ولايته عليها (٥٩ -٦١ هـ / ٦٧٨ - ٦٨٠ م) ، لذا فانه عندما قدم عبد الرحمن محملاً بالاموالمن خراسان ، اقترح يزيد عليه ان يعزله عن خراسان مقابل اعطائه الاموال التي جاء بها من هناك ، فوافق عبد الرحمن على الاقتراح ، وكانت الاموال تقدر بعشرين مليون درهم[٢٦] .

اما الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ -٩٦هـ / ٧٠٥-٧١٥ م) فقد وقع في كتاب لوالي المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز (٨٧-٩٣ هـ / ٧٠٥-٩١١ م) ((لقد رأب[٢٧]الله بك الداء ، واوذم[٢٨]بك السقاء))[٢٩]. ويبدو من هذا التوقيع ان الخليفة كان راضياً عن اداء عمر بن عبد العزيز في ادارته للحجاز ، الذي كان يعد اهم مراكز المعارضة للخلافة الاموية ، غير ان عمر بن عبد العزيز اعتمد سياسة اللين والحوار في التعامل مع اهل هذا المصر منذ وصوله اليه[٣٠]، مما

انعكس ايجابيا على موقف اهل الحجاز من الخلافة الاموية ، فضلاً عن الرخاء الاقتصادي والتطور العمراني الذي شهده عهده[٣١] .

اما الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١ هـ /٧١٧-٧١٩ م) فقد كانت توقيعاته التي تحمل بعداً ادارياً ، تؤكد دائماً على العدل باعتباره نهجاً اسلامياً لادارة البلاد واقاليمها ، لان اشاعة العدل بين الرعية يجعلهم يطمئنون على حقوقهم ، مما يدفعهم الى القيام بواجباتهم على اتم وجه ، وان اعلى درجات العدل والانصاف هو ان يرضى المسؤول للرعية ما يرضاه لنفسه ، وهذا ما اكده الخليفة عمر بن عبد العزيز في توقيع له على كتاب من وال له على العراق[٣٢]الذي اخبر فيه الخليفة عن الوضع في العراق وشكى عدم طاعة اهله لاوامره ، ((ارض لهم ما ترضى لنفسك ، وخذ بجرائمهم بعد ذلك))[٣٣] . ان هذا التوقيع يؤكد على حقيقة ادارية مهمة يفترض على كل مسؤول واداري ان يسير وفقها في تعامله مع الرعية ، بان لايقدم على محاسبة او معاقبة المخالفين قبل ان يفي بحقوقهم .

وفي السياق نفسه ، كتب اليه والي حمص يخبره ان حصن المدينة قد تهدم ويستأذنه باصلاحه[٣٤] ، فوقع الخليفة عمر بن عبد العزيز في اسفل الكتاب : ((ابنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم))[٣٥] .

ويبدو من هذا التوقيع مدى ادراك الخليفة عمر بن عبد العزيز لاهمية العدل في تشجيع الانسان في الدفاع عن وطنه ، لأن الانسان اذا ما احس بالعدل فانه يضحي بكل ما يملك في سبيل وطنه ، اما اذا ظل فانه ربما سيتخلى عن الدفاع عنه في الظروف الصعبة ، لذا فانه كان يرى ان احساس الانسان بالعدل هو الحصن الحقيقي للبلد .

وعندما اسند الخليفة عمر بن عبد العزيز مهمة جباية الصدقات الى رجل كان دميماً ، فسار بين الناس بالعدل والامانة حتى اعجب الخليفة بادارته وحسن ادائه[٣٦] ،فوقع الخليفة في كتاب له : ((ولا اقول للذي تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيراً))[٣٧].

ويبدو ان الخليفة عمر بن عبد العزيز كان يرى ان نجاح اي مسؤول في ما توكل اليه من مهام يعتمد على مدى التزامه بالعدل والانصاف والامانة لا على مظهر الشخص وهيئته .

ولما رفع اليه شخص رقعة يتظلم بها ، وقع الخليفة عمر بن عبد العزيز فيها : ((العدل امامك))[٣٨]. ان هذا الهامش من قبل الخليفة على رقعة المتظلم ، يبين ان العدل كان النهج المعتمد في التعامل مع الرعية ، وانه ليس امراً طارئاً او مؤقتاً .

وتضمنت توقيعاته ايضاً دعوة الى الاقتداء بكبار رجالات الامة في الجانب الاداري ، ومن ذلك انه لما كتب اليه والي الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن[٣٩]، يخبره فيه انه حكم في قضية واجهته بنفس حكم الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في قضية مماثلة[٤٠]، فوقع عمر بن عبد العزيز : ((اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده))[٤١] .

ويبدو ان النجاح الكبير الذي حققه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في الجانب الاداري كان وراء دعوة عمر بن عبد العزيز الى الاقتداء به ، فضلاً عن انها دعوة الى الاقتداء بواحد من سلف الامة الذي يعد انموذجاً من الضروري الاقتداء به ، كما انه اراد بهذه الاية ان يعبر عن شدة تأييده لهذا النهج .

اما توقيعات الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١–١٠٥ هـ /٧١٩–٧٢٣ م) على المسائل الادارية فقد تميزت بالحزم والشدة تجاه الاخطاء الادارية التي يقع بها ولاة الاقاليم ، فمن ذلك توقيعه في كتاب والي خراسان[٤٢]:((لايغرنك حسن الرأي ، فانما تفسده عثرة))[٤٣] .

حسن الرأي من الفضائل والنعم والوالي يحتاج اليه اكثر من اي شيء اخر ، والخليفة اراد هنا ان لا يغتر به فيقع له من الاخطاء ما يفسده حسن الرأي .

وحملت توقيعاته كذلك دعوة الى المسؤولين والولاة الى ان يطلبوا الاقالة من العثرات التي قد يقعون فيها ، ومن ذلك توقيعه في كتاب والي المدينة المنورة [٤٤]:

((عثرت فاستقل[٤٥]))[٤٦] . فيتبين من هذا التوقيع ان دعوة المسؤولين الى الاعتذار عما يقعون فيه من اخطاء لم تكن غائبة عن الخلفاء الامويين ، وانها كانت من الاجراءات الادارية المتبعة في الدولة العربية الاسلامية .

اما توقيعات الخليفة هشام بن عبد الملك فقد كان البعد الاداري واضحاً فيهما ، فمن ذلك انه وقع على رقعة قوم شكوا اليه واليهم : ((ان صح ما ادعيتم عليه عزلناه وعاقبناه))[٤٧] .ان هذا التوقيع يبين حزم الخليفة هشام وعدم تهاونه تجاه اي تقصير من قبل الولاة مع الرعية ، ولهذا وعد بعزل الوالي ومعاقبته اذا ما ثبت ما قيل عنه ، وهذا دليل على تحري الخليفة في الشكاوى المرفوعة اليه وتأكده من صحتها .

ومن ذلك ايضاً انه وقع في رقعة قوم شكوا اليه اميرهم : ((لنفوضنكم في خصمك دونكم))[٤٨]، ان تخويل الرعية في تحدد مصير واليهم او اميرهم ، ربما كان نوع من السياسة الادارية لارضائهم وامتصاص غضبهم خاصة اذا كان الخليفة متأكداً من تصرفات ذلك الوالي .

وكانت توقيعات الخليفة هشام تعكس حرصه على اشاعة العدل بين الناس ، وذلك عن طريق النظر والتحقق في مدى صحة الشكاوى المرفوعة اليه ، فاذا تبين له انهم كانوا صادقين اخذ لهم حقهم وان كان خلاف ذلك فانهم يتحملون التبعات القانونية على ذلك ، وكان ذلك واضحاً من توقيعه على رقعة متظلم : ((اتاك الغوث ان كنت صادقاً ، وحل بك النكال[٤٩]ان كنت كاذباً فتأخر او تقدم))[٥٠] .

وكانت توقيعاه تؤكد على الالتزام بالاحكام الصادرة من قبل القضاة ، وتوضح انه لايحق للخليفة تنفيذ احكام الشرع وحدوده ، فمن ذلك انه وقع على رقعة شخص محبوس لزمه الحد يطلب الاعفاء منه : ((نزل بحدك الكتاب))[٥١] .

وهذا يبين ان صلاحية الخليفة غير مطلقة وانها مقيدة بالشرع ، وانه لامجال للتدخل في عقوبات الحدود ، وذلك لأن رسول الله (ص) نهى عن ان يشفع احد في حد من حدود الله حيث قال للصحابي اسامة بن زيد (ت ٥٤ هـ) منكراً عليه

تشفعه للمرأة المخزومية التي سرقت ووجب عليها اقامة الحد : ((اتشفع في حد من حدود الله))[٥٢] .

البعد الاقتصادي :

ابدى الخلفاء الامويين اهتماماً كبيراً بالجانب الاقتصادي ، خاصة الاموال وطرق اكتسابها وابواب صرفها ، لذا عبرت توقيعاتهم عن السياسة المتبعة من قبل الدولة تجاه هذا الجانب وتجاه اهل الحاجات ، ووضحت ان اعطاء الاموال له اصول وقواعد ، فمن ذلك ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان وقع في رقعة مقدمة من والي البصرة عبد الله بن عامر[٥٣]، يطلب فيها ان يقطعه اراض في الطائف ، فجاء توقيع الخليفة : ((عش رجباً تر عجباً))[٥٤]. ان استخدام الخليفة معاوية لهذا المثل في التعليق على طلب عبد الله بن عامر ، يمثل رفضاً صريحاً لطلبه ، مما يبين كثير من الحالات المماثلة ان صلاحياته محددة وليس لديه الحق في تجاوزها[٥٥] .

وقد تكون بين القضايا المعروضة امام الخلفاء الامويين احياناً قضايا غير معقولة ، لذا كانت تعليقاتهم عليها حاسمة وتحمل سمة الاستفهام ، لتبين لاصحابها ان طلباتهم غير مشروعة ، ومن امثلة ذلك الرقعة المقدمة الى الخليفة معاوية من ربيعة ابن عسل اليربوعي[٥٦]، والتي يلتمس فيها مساعدة الخليفة في بناء دار له في البصرة ، باثني عشر الف جذع ، فكان توقيع الخليفة معاوية : ((ادارك في البصرة ، ام البصرة دارك ؟))[٥٧]. وهو ينم عن انفعال الخليفة واستهجانه ، لأن الكمية التي طلبها كبيرة ولاتتناسب مع الحاجة الحقيقية لبناء دار واحدة .

واحيانا كانت توقيعات الخلفاء الامويين على الرقعة المقدمة اليهم تأخذ بنظر الاعتبار المكانة الدينية والاجتماعية لمقدمها ، ومن امثلة ذلك ، انه لما قدم عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما[٥٨]الى الخليفة يزيد بن معاوية رقعة يطلب فيها مساعدة الخليفة لبعض رجاله وخاصته ، جاء توقيع الخليفة التي : ((احكم لهم بامالهم الى منتهى اجالهم))[٥٩] . ان تفويض الخليفة يزيد لعبد الله بن جعفر في

الحكم في الطلب ، يبين المكانة الرفيعة العالية والاحترام الكبير الذي يكنه الخليفة يزيد لعبد الله بن جعفر ، فضلاً عن قدرة يزيد في استمالة الرجال سيما اصحاب المكانة الدينية والاجتماعية[٦٠]. فحكم لهم عبد الله ابن جعفر بتسعمائة الف درهم ، فوافق يزيد على هذا الحكم وانفذه[٦١] .

كانت توقيعات الخلفاء في بعض الاحيان توضح سياستهم المالية ، فمن امثلة ذلك انه عندما كتب والي العراق الحجاج بن يوسف الى الخليفة الوليد بن عبد الملك ينصحه بالمحافظة على ما تركه له والده عبد الملك من اموال ويدعوه الى عدم تبديدها ، وقع الخليفة الوليد على الكتاب : ((لأجمعن المال جمع من يعيش ابداً ولافرقنه تفريق من يموت غداً))[٦٢].

وهذا يدل على انفاق الخليفة للأموال وعدم اكتراثه في جمعها وتوظيفه لها في اسعاد المجتمع ويؤكد في الوقت نفسه ان المال ما وجد الا لانفاقه واستثماره في اعمال البر والخير واعمار البلاد ، ومن الجدير بالذكر ان عهد الخليفة الوليد شهد نهضة عمرانية واسعة وتطوراً حضارياً كبيراً في مختلف جوانب الحياة[٦٣] .

وكان للقرابة من الخلفاء دور في توقيعات بعض الخلفاء الامويين في طلبات بعض الاشخاص ، ومن امثلة ذلك ، انه عندما قدم رجل رقعة الى الخليفة هشام بن عبد الملك يطلب فيها مساعدة مالية لتوفير احتياجات اسرته الكبيرة ، ومبيناً قرابته من الخليفة ، كان توقيع الخليفة : ((لعيالك في بيت مال المسلمين سهم ، ولك بحرمتك منا مثلاه)) [٦٤]. وهذا يعني ان الخليفة سيمنحه من بيت المال ثلاثة اضعاف ما يمنحه لغيره ، وهذا ما يدل ان للقرابة حالات خاصة احيانا لدى بعض الخلفاء الامويين [٦٥].

البعد الاجتماعي :

كان للبعد الاجتماعي كذلك اثر واضح في توقيعات الخلفاء الامويين على الرقع والكتب المقدمة اليهم ، ومن امثلة ذلك انه عندما كتب عبد الله بن عامر الى الخليفة معاوية كتاباً يعاتبه فيه بأستلحاقه زياد بن ابيه الى ابي سفيان[٦٦]، وقع

الخليفة معاوية في كتابه :((بيت امية في الجاهلية اشرف من بيت حبيب[٦٧]في الاسلام)) [٦٨].ان هذا التوقيع يعكس مدى اعتزاز معاوية بابائه وافتخاره بهم .

وكان الخلفاء الامويون يحاولون في بعض توقيعاتهم ان يوظفوا العلاقات الاجتماعية لخدمة الجانب السياسي ، ومن ذلك ان الخليفة يزيد بن معاوية وقع في كتاب لوالي العراق عبيد الله بن زياد :((أنت احد اعضاء ابن عمك ، فأحرص ان تكون كلها))[٦٩]. ويبدو من هذا التوقيع ان يزيد كان يريد ان يشعر عبيد الله بأنه ليس مسؤولاً في الدولة فحسب ، وانما هو صاحب ملك وعليه ان يحرص ويدافع عنه كأنه احد افراد البيت الاموي .

وكان الخلفاء الامويون ينظرون في الكثير من القضايا الاجتماعية التي تعرض عليهم ، والتي يرفعها اصحابها لايجاد حلول لها ، فكانت توقيعاتهم عليها توضح مدى اهتمامهم بايجاد حلول ناجعة لتلك المشاكل على اساس العدل والانصاف ، ومن امثلة ذلك توقيع الخليفة عمر بن عبد العزيز في رقعة رجل اشتكى اليه اهل بيته :((انتما في الحق سيان))[٧٠]. ويبدو ان الخليفة درس الامر جيداً ووجد ان الرجل ليس له حق اكثر من عياله .

ووقع الخليفة عمر بن عبد العزيز كذلك على رقعة رجل كان يشتكي ابنه : ((ان لم انصفك منه فأنا ظلمتك))[٧١]. ويبدو ان الخليفة نظر للأمر على ان للأب حق الطاعة على ولده ، وهي طاعة فرضها عليه الشرع .

وفي السياق نفسه ، وقع الخليفة يزيد بن عبد الملك في رقعة رجل يشكو اليه بعض اهل بيته :((ماكان عليك لو صفحت عنه واستوصلتني))[٧٢].والظتهر ان الخليفة يزيد فضل تسوية المشاكل العائلية بعيداً عن الدولة ومسؤولياتها .

ومن كل ماتقدم من توقيعات الخلفاء الامويين وابعادها السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية ، يبدو ان سلطة الخلفاء الامويين وصلاحياتهم كانت مطلقة وشمولية في حل مشاكل المجتمع وذلك من خلال اجاباتهم وتوقيعاتهم على الكتب الرسمية او الرقاع التي تعالج مشاكل الناس وتظلماتهم ، كما انها تبين في

الوقت ذاته ان هنالك حدوداً شرعية ضمن صلاحيات الخلفاء لايمكن تجاوزها او المساس بها مهما كانت الاسباب .

الهوامش :

[١] التوقيعات : تعني الهوامش والملاحظات التي يكتبها الخلفاء والوزراء والقادة بشكل مختصر تعليقاً على الكتب الرسمية الواردة اليهم او الشكاوى والتماسات الناس المرفوعة بشكل رقاع ، والتي تميزت عادة بجمالية الاسلوب والايجاز الشديد والبلاغة العالية ، وقد تكون هذه التوقيعات احياناً اما اية قرانية او حديثاً شريفاً او بيتاً من الشعر او حكمة بليغة او مثلاً سائراً ، او ما يتناسب ومضمون الكتاب . (الجهشياري ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس ، الوزراء والكتاب ، حققه ووضع فهارسه : مصطفى السقا واخرون ، ط١، مطبعة مصطفى الباب الحلبي واولاده ، (القاهرة : ١٩٣٨م) ، ص ٢٠٥) .

[٢] كان يسمى زياد ابن ابيه وزياد ابن امه قبل ان يستحلقه معاوية بأبي سفيان ، كان احد عمال الخليفة علي بن ابي طالب (رض) تولى العراق لمعاوية توفي سنة (٥٣ هـ / ٦٧٢ م) . (ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ط ١، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ١٩٨٧ م) ، ص ١٩٥ ؛ ابن عبد البر ، ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر المري القرطبي ، الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، دار الفكر ، (بيروت : بلا ت) ، ج١، ص ٥٦٧–٥٦٨ ، وهو بهامش كتاب الاصابة لأبن حجر العسقلاني) .

[٣] يقصد بأبي الفضل العباس بن عبد المطلب (رض) والد عبد الله .

[٤] مسلاخ : المسلاخ هو الجلد ، ومسلاخ الحية : قشرها الذي تنسلخ منه . (الجوهري ، اسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : احمد عبد الغفور عطار ، ط٣ ، دار العلم للملايين ، (بيروت : ١٩٨٤ م) ؛ ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي بن احمد الانصاري ، لسان العرب ، دار صادر ،(بيروت : بلا ت) ، ج ٣ ، ص ٢٥ ،

[٥] ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر للطباعة والنشر(بيروت : بلا ت) ، ج ٤ ، ص ٢٥٧ .

[٦] الطلب : محاولة وجدان الشئ واخذه ، والمطالبة : ان تطلب انساناً بحق لك عنده ، ولاتزال تتقاضاه وتطالب بذلك ، وطلب الشئ يطلبه طلباً .(ابن منظور ، لسان العرب ، ج١،ص٢٥٩) .

[٧] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤، ص ٢٥٨ .

[٨] الريس ، محمد ضياء الدين ، عبد الملك بن مروان موحد الدولة العربية ، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والنشر ، (مصر : بلا ت) ، ص ٢٢٧-٢٢٨ .

[٩] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤، ص ٢٥٨ .

[١٠] هو عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس الكندي ، كان اميراً شجاعاً معتزا بنفسه ، كانت له وقائع وجولات مع الحجاج ، قتل سنة ٨٥ هـ . (الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ،

تحقيق : محمد ابو فضل ابراهيم ، ط٤ ، دار المعارف ، (القاهرة : ١٩٨٩م) ، ج٤–ومابعدها) .

[١١] سجستان : ولاية كبيرة واسعة ، مركزها زرنج ، تقع الى الجنوب من هراة . (ياقوت ، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ،معجم البلدان ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت : بلا ت) ، ج٥، ص ٥٣) .

[١٢] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٤، ص ٢٥٨ .

[١٣] الطبري ، التاريخ ، ج٤، ص ٣٤٧ .

[١٤] هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة الباهلي ، كان من سادات الامراء ، ومن القادة الشجعان ، فتح الكثير من مدن الشرق حتى وصل الى اطراف الصين ، اختلف عليه قادة شجعان وقتله وكيع بن حسان التميمي سنة ٩٦ هـ . (ابن حزم ، ابو محمد بن علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق وتعليق : عبد السلام محمد هارون ، ط٥، دار المعارف ، (القاهرة : ١٩٨٢ م) ، ص ٢٤٦ ؛ الطبري ، تاريخ ، ج٦،ص ٥٠٦ – ومابعدها) .

[١٥] الفرزدق : واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي ، الشاعر المعروف ، كانت له وفادات على الخلفاء الامويين ، توفي سنة ١١٠ هـ . (ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٢٣٠ ؛ ابن كثير عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية ، دقق

اصوله وحققه : الدكتور احمد ابو ملحم واخرون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت : بلا ت) ، ج٩،ص٢٧٧–٢٧٨).

[١٦]الخطفي ، جرير بن عطية الخطفي ، شرح ديوان جرير ، جمعه وعني بشرحه وضبطه : محمد اسماعيل عبد الله الصاوي ، ط١، مطبعة الصاوي ،(مصر : ١٩٣٤–١٩٣٥ م) ، ص ٣٤٨ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد، ج٤،ص٢٥٨ .

[١٧] الطبري ، تاريخ ، ج٦، ص٥٠٦ – ومابعدها .

[١٨] هو خالد بن عبد الله بن يزيد القسري ، من قبيلة بجيلة ، تولى مكة للخليفة الوليد بن عبد الملك ، ثم ولاه الخليفة هشام بن عبد الملك العراق سنة (١٠٥ هـ / ٧٢٣ م) قتل سنة (١٢٦هـ /٧٤٣م) . (الطبري ، تاريخ ، ج٧،ص٢٥٤ ؛ ابن الاثير ، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه : الدكتور : محمد يوسف الدقاق ، ط٣، دار الكتب العلمية ، (بيروت : ١٩٩٨م) ، ج٤،ص ٣٧٠) .

[١٩] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤، ص ٢٦٠ .

[٢٠] الكبيسي ، عبد المجيد محمد صالح ، عصر هشام بن عبد الملك ، مطبعة سلمان الاعظمي ، (بغداد : ١٩٧٥م) ، ص ٢٤٥ .

[٢١] هو قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان الطائي ، كان قائد جيش العباسيين ، في مواجهة الامويين . (ابن حزم ، جمهرة انساب العرب، ص٤٠٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٠،ص٤٠) .

[٢٢] هو يزيد بن عمر بن هبيرة بن معية بن سكين بن خديج ، تولى العراق ليزيد بن عبد الملك ولمروان بن محمد . (ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٢٥٥ ؛ الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، ط٥،دار العلم للملايين ، (بيروت : ١٩٨٠م) ، ج٨،ص١٨٥ .

[٢٣] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤، ص ٢٦١ .

[٢٤] واشجة : الواشجة : الرحم المشتبكة المتصلة . (ابن منظور ، لسان العرب ، ج٢،ص٣٩٩) .

[٢٥] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٥٧ .

[٢٦] ابن الاثير ، الكامل ، ج٣،ص ٣٦٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨،ص٩٨.

[٢٧] رأب : رأب الشئ جمعه وشده برفق، ورجل مراب : اذا كان يصلح بين القوم . (ابن منظور ، لسان العرب،ج١،ص٣٩٨) .

[٢٨]اوذم : اوذمالشئ : اوجبه . والوذم : الفضل والزيادة . (ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٢،ص٦٣٢) .

[٢٩] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤،ص ٢٥٨ .

[٣٠] الطبري ، تاريخ ، ج٦،ص٤٢٨ .

[٣١] المصدر نفسه ، ج٦،ص٤٣٦؛ابن كثير ، البداية والنهاية،ج٩،ص٨٩-٩٠.

[٣٢] لم تحدد المصادر اسم ذلك الوالي ، ولكن العراق في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز لم يجمع لشخص ، وانما كان على البصرة عدي بن ارطأة،

وعلى الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب . (الطبري ، تاريخ ، ج٦، ص ٥٥٤) .

[٣٣] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٥٩ .

[٣٤] ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، عيون الاخبار ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٣م ،ج١؛ السيوطي ، جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، (بغداد : ١٩٨٧م) ، ص ٣٣٢ .

[٣٥] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٥٩ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣٢ .

[٣٦] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٥٩ .

[٣٧] سورة هود ، جزء من الاية : ٣١ .

[٣٨] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٥٩ .

[٣٩] هو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب الاعرج القرشي تولى الكوفة لعمر بن عبد العزيز . (الزبيري ، ابو عبد الله المصعب بن عبد الله المصعب ، كتاب نسب قريش ، عني بنشره لاول مرة وتصحيحه والتعليق عليه : أ. ليفي بروفنسال ، ط٣،دار المعارف ، (القاهرة : بلا ت) ، ص ٣٦٣ ؛ الطبري ، التاريخ ،ج٦،ص٥٥٤).

[٤٠] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٥٩ .

[٤١] سورة الانعام ، جزء من الاية : ٩٠ .

[٤٢] لم تشر تلك المصادر الى اسم ذلك الوالي ، الا ان هناك ولاة تعاقبوا على خراسان في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، وهم : عبد الرحمن بن نعيم الغامدي وسعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن ابي العاص المعروف بسعيد خذينة وسعيد بن عمرو بن الاسود الحرشي ومسلم بن سعيد بن اسلم بن زرعة الكلابي . (ينظر : الطبري ، تاريخ ،ج٦،ص٥٨٩ وص ٦٠٥ وص ٦١٩، وج٧،ص ١٥) .

[٤٣] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٦٠ .

[٤٤] لم تذكر المصادر اسم ذلك الوالي ، الا ان هناك شخصان توليا المدينة في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك وهما : عبد الرحمن بن الضحاك و عبد الواحد بن عبد الله بن بشير النضري . (الطبري ، التاريخ ،ج٧، ص١٢) .

[٤٥] فاستقل : يقال : اقالة يقيله اقاله ، وتقابا اذا تفاسخا البيع وعاد المبيع الى مالكه والثمن الى المشتري اذا كان قد ندم احدهما او كلاهما ، وتكون الاقالة في البيع والعهد والاستقالة : طلب الاقالة . (ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١،ص ٥٧٩-٥٨٠) .

[٤٦] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٦٠ .

[٤٧] المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٢٦٠ .

[٤٨] المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٢٦١ .

[٤٩] النكال : نكل به تنكيلاً اذا جعله نكالاً وعبرة لغيره ، ويقال نكلت بفلان اذا عاقبته في جرم اجرمه . (ابن منظور ، لسان العرب، ج١١،ص٦٧٧)

[٥٠] البيهقي : الشيخ ابراهيم بن محمد ، المحاسن والمساوئ ، دار صادر ، دار بيروت ، (بيروت : ١٩٦٠م)،ص ٥٠١ .

[٥١] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٦٠ .

[٥٢] البخاري ، ابوعبد الله محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت : ٢٠٠١م)، ص ١٢٠١ ، حديث رقم ٦٧٨٨ .

[٥٣] هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان شجاعاً جواداً ، تولى البصرة لعثمان بن عفان ، ثم ضم اليه فارس ، ولاه معاوية البصرة ، توفي سنة ٥٩هـ . (ابن سعد ، محمد بن سعد ابن منيع، الطبقات الكبرى ، دار صادر ،(بيروت : ١٩٥٧م)،ج٥،ص٤٤– ومابعدها) .

[٥٤] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٥٧ .

[٥٥] ابن قتيبة ، عيون الاخبار، ج٣،ص ١٣١ .

[٥٦] هو ربيعة بن شريك بن المنذر بن قشم بن عسل بن عمرو اليربوعي ، كان مع عائشة رضي الله عنها يوم الجمل ، فأتي به امير المؤمنين علي (رض) اسيراً ، فمن عليه واطلق سراحه فلحق بمعاوية . (ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي ، الاشتقاق ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط٢، مكتبة المثنى ،(بغداد : ١٩٧٩م)،ص٢٢٨)

[٥٧] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٥٧ .

[٥٨] هو عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهما ، يكنى بأبي جعفر، كان يسمى بحر الجود لكرمه ، كان كثير الوفادة على معاوية وابنه يزيد ، توفي سنة ٨٠ هـ . (ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ج٥،ص٢٧٥-٢٧٦؛ابن حجر ، شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت: ١٩٨٩م)، ج٢،ص٢٨٩) .

[٥٩] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٥٧ .

[٦٠]التنوخي ، ابو علي المحسن بن علي بن محمد ، المستجاد من فعلات الاجواد ، عني بنشره وتحقيقه: محمد كرد علي ، مطبعة الترقي ، (دمشق: ١٩٤٦م)،ص٢٢٠-٢٢١ .

[٦١] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٥٧ .

[٦٢]المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٢٥٨ .

[٦٣] المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق وتعليق : الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي ، ط١،دار القلم ، (بيروت : ١٩٨٩م)،ج٣،ص١٤٨ ؛الصلابي ، محمد علي (الدكتور) ، الدولة الاموية ، ط١،دار المعرفة ،(بيروت : ٢٠٠٥م)،ج٢،ص٧٣.

[٦٤] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٦٠ .

[٦٥] الكبيسي ، عبد المجيد محمد صالح ، عصر هشام بن عبد الملك ، مطبعة سلمان الاعظمي ، (بغداد : ١٩٧٥م) ،ص٣٤٤ .

[٦٦] الطبري ، تاريخ ، ج٥،ص ٢١٤؛ابن الاثير ، الكامل ، ج٣،ص٢٩٩

[٦٧] حبيب هو الجد الاعلى لعبد الله بن عامر ، وهو اخو امية . (الزبيري ، نسي قريش ، ص ٩٧) .

[٦٨] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٥٧ .

[٦٩] المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٢٥٧ .

[٧٠] المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٢٥٧ .

[٧١] المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٢٥٧ .

[٧٢] المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٢٥٧ .